زخارف البيت التقليدي في البلدة القديمة بغزة وسبل الحفاظ عليها

م. نشوة ياسر الرملاوي – مركز عمارة التراث "إيوان"– الجامعة الإسلامية– غزة

nalramlawy@iugaza.edu

تعتبر الزخارف من التكوينات والعناصر الجمالية المميزة التي اتسمت بها البيوت التقليدية خاصة والمباني الأثرية عامة في البلدة القديمة بمدينة غزة، وتهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على هذا التكوين والعنصر المميز والذي غالباً ما يكون مخفي في الداخل وغير ظاهر إلى الخارج وإظهار قيمتها التاريخية والجمالية، وتوفير دراسة بحثية حول الزخارف للمهتمين والدارسين في مجال الموروث الثقافي المعماري والفنون التقليدية، إضافة إلى زيادة الوعي بأهمية الموروث الثقافي المعماري وما يحمله من عناصر مميزة وضرورة الحفاظ عليه وتوثيقها.

فسيتم خلال هذه الورقة البحثية عرض نبذة مبسطة عن الأهمية التاريخية للبلدة القديمة بغزة ككل، ومن ثم دراسة البيت التقليدي وما يحتويه من عناصر وتكوينات جمالية ومعمارية، ومن ثم سيتم التركيز على عنصر الزخارف الذي هو محور الدراسة حيث سيتم عمل دراسة تحليلية لها من حيث القيمة والأهمية التاريخية والجمالية، وتحليل الوحدات الزخرفية الأساسية والأشكال المكونة لها وأنواعها وخصائص المواد والأدوات التي استخدمت في صنعها، وتحديد أماكن تواجدها داخل البيوت التقليدية، ومن ثم سيتم تقييم الواقع الحالي للزخارف وتحديد المشاكل التي تعاني منها، وستعتمد الدراسة على أسلوب البحث في الكتب والمراجع ذات العلاقة والعمل الميداني داخل البلدة القديمة لجمع المعلومات اللازمة بالإضافة إلى التوثيق التصويري الفوتوغرافي.

وستلَخص الدراسة بالخروج بالنتائج والتوصيات الأمثل التي تضمن الاهتمام بالزخارف وطرق وأساليب الحفاظ عليها وعلى قيمتها التاريخية والمعمارية الجمالية.

كلمات مفتاحية: زخارف، بيوت تقليدية، حفاظ، موروث ثقافي، تكوينات وعناصر معمارية.

1. تمهيد:

مدينة غزة من أقدم المدن العربية المتجذرة في عمق التاريخ، تعاقب عليها العديد من الحضارات التاريخية نظراً لموقعها الجغرافي الهام، مما ساهم في رسم معالم الطابع المعماري لها في كل حقبة تاريخية، وتعتبر البيوت التقليدية والمباني الأخرى العامة كالمساجد والحمامات المدارس والأسواق وغيرها هي بمثابة المرآة التي تعكس ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، وقد جسدت البيوت التقليدية في غزة براعة الفن المعماري قي تصميم وتوزيع الفراغات وحملت العديد من العناصر المعمارية ذات القيمة الفنية والتاريخية العالية والتي تعتبر الزخارف من أهم هذه العناصر الفريدة التي تضفي السمات الجمالية، ونظراً لأهميتها يكاد لا يخلو بيت من البيوت التقليدية في غزة من الزخارف على الرغم من صعوبة تصميمها والدقة العالية في صنعها والحصول عليها، وأخذت العديد من الأشكال وتكونت من عدة وحدات زخرفية أساسية وبتوزيع وتنسيق وتكرار يحقق التوازن والتناغم في تصميم زخرفي متكامل مبدع يدل على مدى مهارة الحرفيين في إتقانها وباستخدام أدوات وطرق بسيطة تقليدية، واستخدام الحجر الطبيعي بأنواعه الذي هو مادة البناء الأساسية للبيوت والمباني التقليدية عموماً قي البلدة القديمة بغزة مما يؤكد على أصالتها وعراقتها.

2. نبذة عن تاريخية عن البلدة القديمة بغزة:

تعد البلدة القديمة بغزة من أكبر وأهم المدن الفلسطينية على مر العصور التاريخية، واكتسبت أهميتها من وقوعها على الطريق التجاري الساحلي القديم الذي يربط مصر بفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين. وتطوّرت البلدة القديمة بغزة بتخطيطها وعمارتها على مدار الحقب التاريخية المتعدّدة التي مرّت بها، مواكبة لما اختصت به كل هذه الفترات من عوامل ميزت كل منها عن الأخرى.

إن أول من سكن مدينة غزة هم الكنعانيون، وهم الذين أسسوها وحافظوا على وجودها وتركوا بصماتهم على تاريخيها الطويل، واستولى عليها الأشوريون وكانوا الأشوريون يسمونها آنذاك (عزاتي)، وقعت غزة تحت حكم البابليين وكانت مدينة كبيرة تلعب دورا في السياسة الدولية، وتمكن الفرس من الاستيلاء على غزة في عهد ملكهم قنبيز، واستولى عليها اليونانيون وكانت مدينة مستقلة يحيط بها سور ولها ثمانية أبواب، وفي عهد الرومان ازدهرت فيها التجارة والعلوم والعمران وكانت تعبد الأوثان، إلى أن قويت المسيحية وانتشرت فيها، ومن ثم دخلت غزة في الدين الإسلامي وتعاقب عليها المماليك الذين أقاموا المنشآت الدينية كالمساجد والزوايا والمدارس والتكايا والحمامات والأسبلة والخانات والقيساريات، واستولى العثمانيون عليها الذين عمروا فيها أيضا وأقاموا فيها القصور وأنشئوا محطة قديمة للبريد والبرق أطلق عليها البوسطة، ومن ثم خضعت غزة للانتداب البريطاني ثم الإدارة المصرية ثم الاحتلال الإسرائيلي تم سيطرت عليها السلطة الوطنية الفلسطينية وحتى يومنا هذا.

1.2. البلدة القديمة بغزة أحياءها وحدودها وبواباتها:

كانت البلدة القديمة بغزة تتكون من حيّين أثنين وهما الدرج والزيتون يحيط بها سور شبه دائري وله ثمانية أبواب والتي ظهرت موثقة بخريطة رسمت عام 1887م كما يوضح شكل(1)، والأبواب الثمانية هي باب البحر وباب ميماس وباب البلاخية وباب عسقلان وباب عسقلان مكرر وباب الخليل وباب المنطار وباب الداروم.

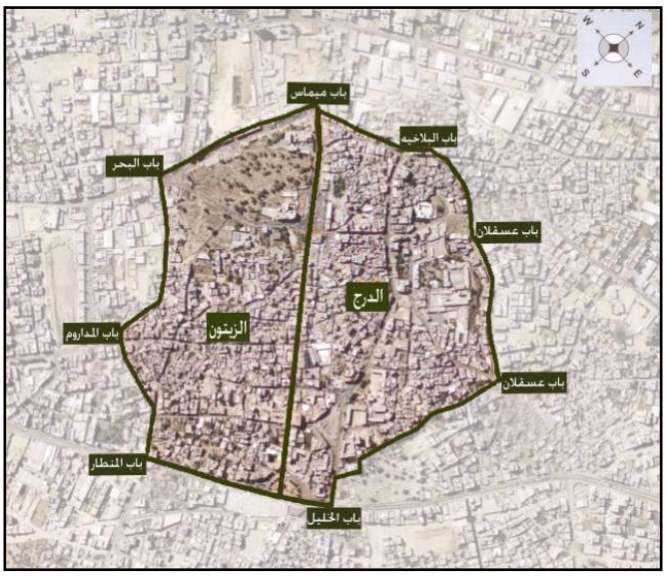

شكل(1): مخطط يوضح مواقع بوابات سور البلدة القديمة بغزة

المصدر: المغني، نهاد، "التراث المعماري بمدينة غزة" (بتصرف)

امتدت البلدة القديمة وتوسعت مساحتها واكتمل تشكيل الأحياء الحالية لها عام 1525م مع بداية الحكم العثماني، حيث بلغ عدد السكان 5886 نسمة، وتكونت الأربعة أحياء وهي حي الدرج وحي الزيتون وحي الشجاعية وحي التفاح كما يوضح شكل (2).

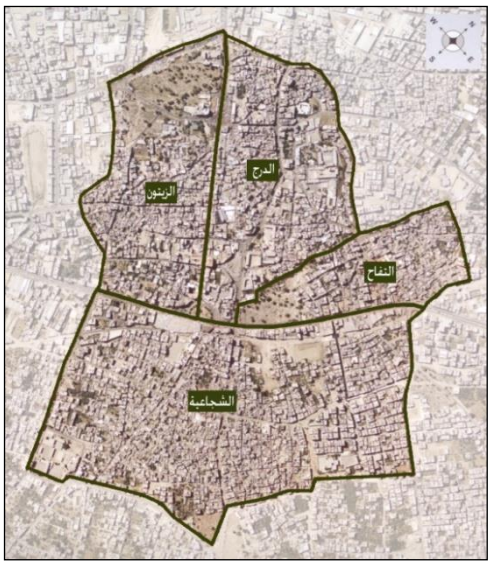

شكل (2): مخطط يوضح أحياء البلدة القديمة بغزة

المصدر: نهاد المغني، "التراث المعماري بمدينة غزة"(بتصرف)

3. البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة:

بناءًا على أعمال المسح الميداني والتوثيق التي قام مركز عمارة التراث "إيوان" ووزارة السياحة والآثار في قطاع غزة فإن عدد البيوت التقليدية التي ما زالت قائمة داخل البلدة القديمة هو 146 بيت وتمثل حوالي 80% مما هو متوفر من مباني تقليدية، أما الجزء المتبقي فهو عبارة عن مساجد وبعض المباني الخدماتية العامة مثل الحمامات والأسبلة وغيرها.

تصميم البيت التقليدي كان يتميز بالبساطة الشديدة ويعتمد على أن يكون التوجيه إلى الداخل وذلك تبعاً لفلسفة المجتمع الشرقي ومبادئ الإسلام، فكان المسقط الأفقي للبيت يأخذ الشكل الرباعي الذي تلتف حوله جميع فراغات وعناصر البيت كما يوضح شكل(3)، وتتجمع المساقط الأفقية للبيوت المتجاورة لتشكل كتلاً بنائية متلاحمة جنباً إلى جنب ولا يظهر منها إلا واجهة واحدة تطل على الزقاق، وهذا المفهوم يؤدي إلى حماية أحدها الآخر من أشعة الشمس صيفاً وزخات الأمطار شتاءًا.

كان النظام الإنشائي المستخدم في البيوت التقليدية هو الحوائط الحاملة المبنية من الحجر الرملي وهو مادة البناء الأساسية بالإضافة إلى استخدام الحجر الجيري والرخامي والفخار والطين.

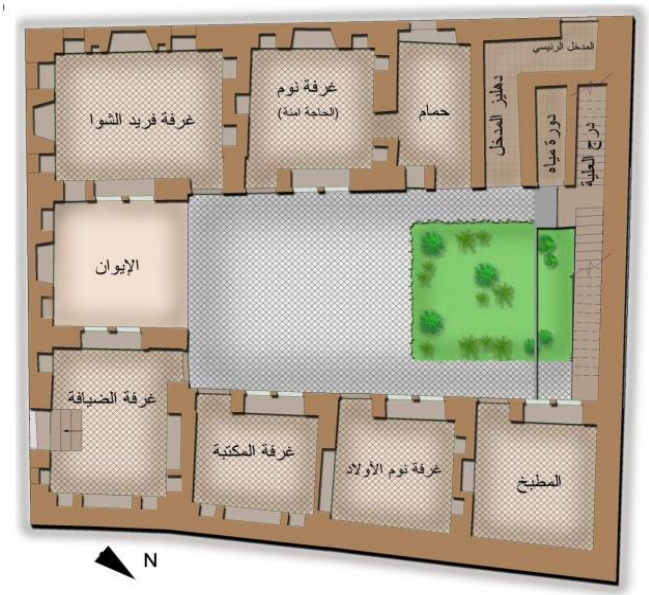

شكل (3): نموذج مسقط أفقي لأحد البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة

المصدر: مركز عمارة التراث "إيوان"

1.3. أهم العناصر المعمارية المكونة للبيت التقليدي في البلدة القديمة بغزة:

تميز البيت التقليدي في البلدة القديمة بغزة بالعديد من العناصر المعمارية التي اختصت بها عمارة البيوت التقليدية في الحقبة الإسلامية ومن أهم تلك العناصر:

_ **المداخل:** بشكل عام المداخل في البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة أخذت أشكال بسيطة ومتواضعة عبارة عن مستطيل ينتهي بعقد موتور أو عقد مخموس وفي بعض الأحيان القليلة جداً أخذ المدخل شكل أكثر تعقيداً باستخدام عناصر زخرفية أو أعمدة رخامية كما يوضح شكل(4).

شكل (4): نماذج مداخل البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة

المصدر: الباحثة

_ **دهليز المدخل:** وهو يلي المدخل مباشرة وهو عبارة عن حلقة الوصل بين العام والخاص أو بين البيئة الخارجية والداخلية حيث يفصل بين الزقاق الخارجي وحرم البيت، وهو عبارة عن ممر منكسر ضيق بزاوية أقرب إلى القائمة وذلك لتحقيق مبدأ الخصوصية بحيث لا يكون هناك مجال للمار من الزقاق رؤية ما يحدث داخل البيت، وسقف الدهليز بالأغلب على شكل قبو نصف برميلي منخفض، كما يوضح شكل(5).

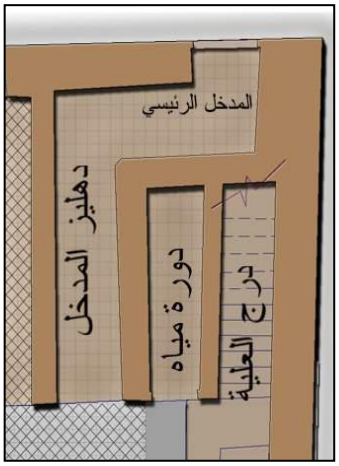

شكل (4): نموذج لدهليز المدخل في البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة

المصدر: مركز عمارة التراث "إيوان" – الباحثة

ـ **الفناء الداخلي**: هو الفراغ الرئيسي للبيت وغالباً يأخذ الشكل الرباعي وتطل عليه جميع الفراغات الأخرى للبيت وهو عبارة عن مركز النشاطات اليومية والمعيشية للسكان كما يوضح شكل(5)، ويعمل الفناء على تأمين التهوية والإضاءة المناسبة وتنظيم درجات الحرارة.

يقول حسن فتحي: *"المعماري العربي هو الوحيد الذي نجح في اجتذاب السماء للإنسان وتقريبها إليه، هنا السماء والأرض في عناق مستمر لا مثيل له إلا في البيت العربي."*

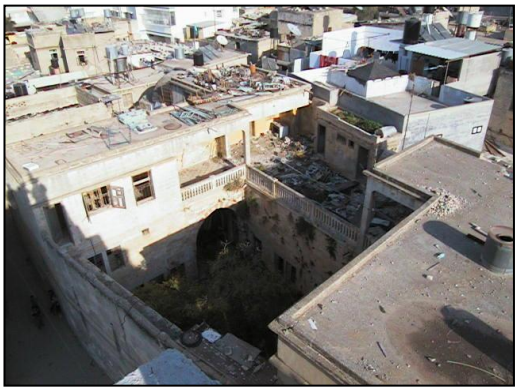

شكل (5): نموذج الفناء الداخلي في البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة

المصدر: مركز عمارة التراث "إيوان"

ـ **الإيوان**: وهو عبارة عن غرفة دون جدار رابع تفتح على الفناء مباشرة وغالباً تنتهي بعقد مخموس من الحجر أو الرخام الملون، ويستخدم كغرفة معيشة للجلسات والزيارات والمناسبات كما يوضح شكل(6).

ـ **المزيرة**: وهي عبارة عن حوض من الحجر مفرغ لحفظ الماء بداخله واستخدامها وقت الحاجة، وغالباً تكون المزيرة أسفل الدرج مباشرة وقريبة من دهليز المدخل حتى يسهل دخول السقا لتزويدها بالماء وسميت بذلك نسبة إلى زير المياه كما يوضح شكل(7).

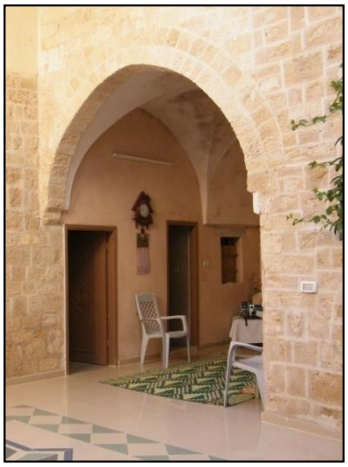

شكل(6): نموذج لإيوان البيوت التقليدية **شكل(7): نموذج للمزية في البيوت التقليدية**

المصدر: الباحثة

ـ **القباب والأقبية:** تعتبر القباب من العناصر المعمارية المميزة سواء في أشكالها أو تناسب تكوينها المعماري أو من حيث أماكن انتقالها من الداخل إلى الخارج فالقبة نظرياً هي عبارة عن مجموعه من العقود المتقاطعة التي يربط بينها حجر مركزي في القمة هو (مفتاح القبة).[1] واستخدمت القباب في العديد من البيوت التقليدية وأيضاً في المباني العامة في البلدة القديمة بغزة وأغلبها تأخذ الشكل النصف كروي لتغطية الفراغات الأكثر أهمية. وتعتبر منطقة الانتقال من الشكل الرباعي إلى الشكل الدائري للقبة من عناصر الإنشاء الهامة جداً التي لعبت دوراً هاماً في تنوع القباب وتحديد شكلها الجمالي، وتكمن أهميتها في أنها تساعد على تحويل المربع السفلي إلى دائرة تلتحم مع دائرة القبة الكروية التي تعلوها مباشرة.

أما الأقبية فقد استخدمت في تسقيف وتغطية معظم الفراغات في البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة، وهي في أغلبها أقبية متقاطعة وبعضها أقبية متقاطعة مروحية تتوسطها زخرفة عند التقاء أضلاع القبو أو الأقبية المتداخلة أو الأقبية النصف برميلية، وفي الغرف المستطيلة الشكل والواسعة ذات المساحات الكبيرة استخدم أكثر من قبو متقاطع لتسقيفها، كما واستخدم القبو النصف البرميلي (الدائري) في تغطية بعض الفراغات الضيقة المساحة وذات الاستطالة كدهليز المدخل والممرات والغرف الصغيرة كغرف الخدمات، كما يوضح شكل(8).

شكل (8): نماذج من القباب والأقبية التي استخدمت في البيوت التقليدية

المصدر: الباحثة

[1] عبد الحميد، سعد زغلول، **"العمارة والفنون في دولة الإسلام"**، منشأة المعارف بالإسكندرية،1986م.

4. زخارف البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة:

الزخارف هي أحد العناصر المعمارية في البيوت التقليدية في البلدة القديمة، تواجدت لتمنح البيت القيمة الجمالية وتزيد من عراقته وفخامته، والتي هي محور هذه الدراسة البحثية.

1.4. تعريف الزخرفة:

الزخرفة هي علم من علوم الفنون التي تبحث في فلسفة التجريد والنسب والتناسب والتكوين والفراغ والكتلة واللون والخط، وهي إما وحدات هندسية أو وحدات طبيعية (نباتية–آدمية–حيوانية) تحوّرت إلى أشكال تجريدية، وتركت المجال لخيال الفنان وإحساسه وإبداعه حتى وضعت لها القواعد والأصول.[1]

والهدف الأساسي عند من الزخارف هو تجميل الحياة الدنيا، فالهدف هو تجميلي، حيث أن الزخرفة تشيع الغبطة بالنفس وتبعث في القلب الرضا والانشراح. [2]

قال الله تعالى:(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ){الصافات:7}.

وقال تعالى:(حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ){يونس:24}.

2.4. الوحدات الزخرفية وأنواعها:

الوحدات الزخرفية هي عبارة عن الفراغ المحصور بين خط أو مجموعة خطوط متلاقية تبعاً لنوعها، ويملأ مساحة معينة مهما كانت صغيرة أو كبيرة، وهذه الوحدات الزخرفية تم توظيفها لتكون بمثابة الوحدات الأساسية كالتالي:

أولاً: الوحدات الهندسية:

نابعة من الأشكال البسيطة كالمستقيمات والمربعات والمثلثات والدوائر المتماسة والمتقاطعة والمتحورة، والأشكال المنتظمة كالشكل الخماسي والسداسي والمثمن والمعشر والإثنى عشر وغيره.[3]

وعلى الرغم مما تبدو الزخارف ذات الوحدات الأساسية الهندسية من تعقيد فإنها في حقيقتها بسيطة تعتمد على أصول وقواعد، من بينها تقسيم المساحة إلى أجزاء متساوية ثم توصيل النقط بعضها ببعض للحصول على أشكال هندسيه مختلفة متزنة ومتناغمة مع بعضها البعض.[4]

---

[1] كنعان، هنادي، **الحليات المعمارية في القصور العثمانية في البلدة القديمة بنابلس"دراسة تحليلية"**، جامعه النجاح الوطنية بنابلس،2010م.

[2] مرزوق، محمد عبد العزيز :"**الفنون العثمانية**"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988 م.

[3] المرجع السابق

[4] أبو صالح الألفي، "**الفن الإسلامي**"، القاهرة، دار المعارف.

وشغلت الوحدات الهندسية مساحات واسعة في زخارف البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة، فأصبحت أساس للعديد من التصاميم الزخرفية، فتواجدت زخارف عبارة عن خطوط هندسية مختلفة يتم تركيبها وتكرارها بأسلوب هندسي متقن بحيث ينتج تكوين زخرفي متكامل كما يوضح شكل(9).

شكل(9): نماذج لزخارف مكونة من وحدات أساسية هندسية

المصدر: الباحثة

وتعتبر الأطباق النجمية من أبرز التكوينات الزخرفية الهندسية، وهي عبارة عن أشكال نجمية متعددة الأضلاع تركب بعضها إلى جوار البعض بحيث يتألف منها شبه طبق في وسطه شكل نجمي، ويربط بين الأشكال النجمية بعضها ببعض أشكال هندسية مختلفة. وتعددت أشكال الأطباق النجمية بحسب عدد الأطراف، منها طبق نجمي ستة وثمانية وعشرة واثنى عشر وست عشر طرف كما يوضح شكل(10).

شكل(10): نموذج زخارف الأطباق النجمية

المصدر: الباحثة

ثانياً: الوحدات النباتية:

وتتكون من أوراق وفروع نباتات ذات المنحيات الدائرية والحلزونية وأزهار وثمار، واعتمدت على المرونة وخروج التفريعات الأصغر والأوراق والتكرار والتماثل والتبادل في ترتيب الوحدات بإيقاع منتظم للحصول على التكوينات الزخرفية، ويحدث تباين بواسطة تغيير النور والظل وباختلاف الكثافة في الزخرفة، وتوجد في بعض الأحيان زخارف ذات

وحدات نباتية ووحدات هندسية في نفس الزخرفة في تناسق وانسجام بتجريدها وتشابكها وتضفيرها.[1] كما يوضح شكل(11).

وقد ذكر النبات في القرآن الكريم في عدة مواضع منها وصف الجنة التي وعد الله المؤمنين بها:(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً){الإنسان:14}، لذا فالزخارف ذات الوحدات النباتية في العمارة ترمز إلى الخير والخصب والنماء الذي منّ بها الله على الناس فأخرج الحي من الميت وجعل من الماء كل شيء حي.[2]

شكل(11): زخارف ذات وحدات نباتية

المصدر: الباحثة

3.4. أنواع الحجر الذي صنعت منها زخارف البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة:

استخدمت عدة أنواع من الحجر في نقش الزخارف، حيث أن الرسم بالأحبار قد لا يستمر طويلاً، فكان النقش وسيلة لتثبيت النقوش الزخرفة إلى زمن طويل، لتصبح الزخارف كشواهد حجرية وتحف فنية تزين واجهات المباني مستغلة انعكاس الشمس وظلالها لإبراز معلمها وإيضاحها، والحجر المستخدم منه أنواع مختلفة فمنه الأحجار الرملية والجيرية والرخامية، ويعتبر الرخام من أرقي أنواع الحجر لصلابتها.[3] وفي البلدة القديمة بغزة لا تتوفر جميع أنواع الأحجار ومع ذلك عملوا استحضار الأحجار الرخامية من أماكن بعيدة فكان ذلك عاملاً لرفع مستوى الزخارف وبرزت المهارة العالية في تشكيل الحجر بالأشكال الفنية الرائعة، ومن أنواع الحجر التي نقشت عليها الزخارف كالتالي:

أولاً: الحجر الرملي:

يعتبر الحجر الرملي الأضعف مقارنة بأنواع الحجر الأخرى حيث يحتوي على مسمات هوائية كثيرة، وقد كان هذا النوع منتشر بكثرة في مدينة غزة يجلب من محاجر الحجر التي كانت تتواجد في منطقة الشرق بحيث يتم قصها وتهذيبها ونقلها واستخدامها لأغراض البناء المختلفة، لذا نجد أن معظم المباني التقليدية التي ما زالت قائمة في البلدة القديمة بغزة مبنية من الحجر الرملي كمادة أساسية، ونظراً لضعف هذا النوع من الحجر لم تصمد الزخارف المصنوعة منه لسنوات

[1] مصطفى، صالح لمعي، "**التراث المعماري في مصر**"، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى، 1984م

[2] أبو دبسة، فداء، "**الزخرفة الإسلامية**"، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م.

[3] البهنسي،عفيف، "**جمالية الزخرفة العربية**"، مكتبة لبنان، بيروت،1999م.

طويلة حيث تفقد جزء من ملامحها ومكوناتها الأساسية نتيجة لتعرضها للتآكل من قبل عوامل التعرية بشكل أسرع، كذلك تكون معرضة للكسر وفقدان أجزاء، كما يوضح شكل(12).

شكل(12): نماذج زخارف من الحجر الرملي

المصدر: الباحثة

ثانياً: الحجر الجيري:

ويعتبر أشد قوة من الحجر الرملي، ونقشت عليه العديد من الزخارف في البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة ومازالت تحافظ على ملامحها وتصميمها بشكل جيد، كما يوضح شكل(13).

شكل(13): نموذج زخرف من الحجر الجيري

المصدر: الباحثة

ثالثاً: الحجر الرخام:

يعتبر الحجر الرخام من أشد أنواع الأحجار قوة وصلابة في البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة، فقد استخدم لصلابته في أعتاب الشبابيك والأبواب وفي العقود المختلفة وفي الأعمدة وفي صنع الزخارف، وصنعت العديد من الزخارف الحجر الرخامي بطريقة إبداعية ودقة ومهارة عالية جداً رغم صلابته وقوته الشديدة، كما يوضح شكل(14)

شكل(14): نماذج زخارف من الحجر الرخامي

المصدر: الباحثة

4.4. الطرق التي اتبعت في صنع زخارف البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة:

اتبعت عدة طرق في صنع الزخارف وإخراجها بشكلها النهائي، وذلك بما يتناسب مع التصميم والخطوط والوحدات الأساسية المكونة للزخرفة، إضافة إلى طبيعة الحجر المستخدم، ومن هذه الطرق التالي:

أولاً: طريقة النقش:

وهي الطريقة الشائعة في معظم زخارف البيوت التقليدية، ويكون فيها النقش على الحجر غائراً وقد يكون بارزاً، بهدف إظهار ملامح وتصميم الزخرفة ويساهم في إظهارها أيضاً انعكاس أشعة الشمس وظلالها على الزخرفة، وتشكل إطارات تحيط بالمساحات المزخرفة، وتمثل طريقة النقش مدى الدقة العالية والمهارة لدى الحرفيين في نقل التصميم الزخرفي على الحجر ونقشها بأفضل، شكل كما يوضح شكل(15).

شكل(15): نموذج لزخارف بطريقة النقش

المصدر: الباحثة

ثانياً: طريقة التشبيك:

وتكون فيها الزخارف على شكل مداميك من الحجر متشابكة مع بعضها بتشكيلات جميلة منها الهندسية أو النباتية، وغالباً تكون من لونين أو نوعين مختلفين ومن الحجارة، واستخدمت في تشكيل الواجهات وخاصة على أعتاب فتحات الشبابيك والعقود، وفي بعض الأحيان تكون عملية التشبيك بين الأحجار لها هدف إنشائي حيث يمنع انزلاق قطع الحجارة القريبة من أول حجر للعتب في حالة هبوط عند الباب أو الشباك.[1] كما يوضح شكل(16).

شكل(16): نموذج لزخارف بطريقة التشبيك

المصدر: الباحثة

[1] مصطفى، صالح لمعي، "**التراث المعماري في مصر**"، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى، 1984م

ثالثاً: طريقة التنزيل أو التطعيم:

وهي الزخارف المنزلة تنزيلاً، حيث في هذه الطريقة بعد أن يقوم النقاش بنقش الزخرفة تاركاً فراغات غائرة، يقوم بملء هذه الفراغات بملاط (مونة) أو عجينة ملونة، أو أن يقص ألواحاً من الحجر الملون أو الصدف أو العظم أو العاج وتنزل في هذه الفراغات الغائرة[1] ،كما يوضح شكل(17).

شكل(17): زخارف بطريقة التنزيل في بيت العشي بحي الدرج

المصدر: الباحثة

رابعاً: طريقة التشقف:

تعتبر من أصعب الطرق حيث يتم عمل تقطيعات (شقف) هندسية أو نباتية من الحجر الملون والصلب، وترص مع بعضها البعض بإحكام ودقة عالية لتكون زخرفة صلبة، وقد تتنوع التقطيعات الحجرية فتكون من الحجر الملون أو من الصدف أو من العظم، إن براعة النقاش في هذا النوع من الزخارف لا تضاهى إذ أن تكوين التقطيعات يتم بالأزميل والمنشار اليدوي والمبرد، وإحكام التقطيعات عمل شاق وبطئ ودقيق جداً، وأشكال التقطيعات تتنوع منها المربعة والدائرية والطويلة للمستطيل واللوزة للبيضاوي والمسدسة والمثمنة والمعشرة[2] ،كما يوضح شكل(18).

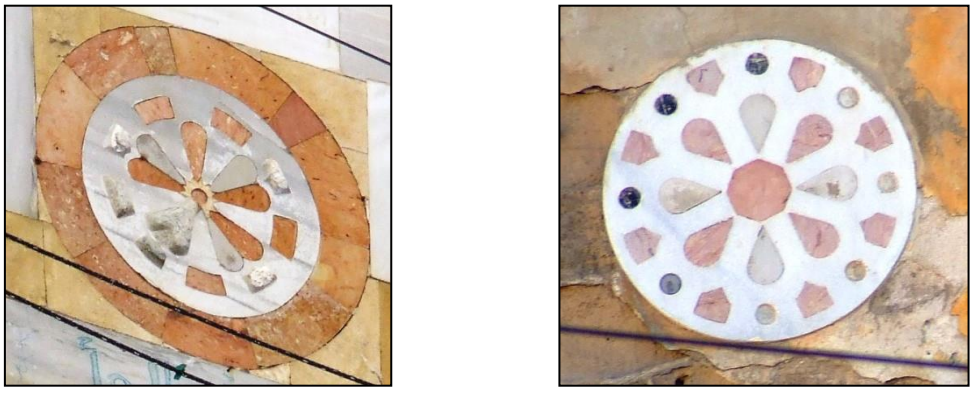

شكل(18): زخارف بطريقة التشقف

المصدر: الباحثة

[1] البهنسي،عفيف، "**جمالية الزخرفة العربية**"، مكتبة لبنان، بيروت،1999م.

[2] المرجع السابق

5.4. الأدوات المستخدمة في صنع الزخارف:

تعتبر عملية صنع الزخارف عملاً دقيقاً ويتطلب تدريب واسع وثقافة عملية طويلة، ولم تكن هناك معاهد لتعليم وتدريب الحرفيين، بل كانت الورشات هي المعاهد العملية لهذه الحرفة، والأدوات التي كانت تستخدم لصنع القطع الزخرفية كانت بسيطة كالمطرقة والأزميل والمبرد والخيط الذي يستعمل مسطرة ومقياساً وشاقولاً وفرجاراً أيضاً، فهو مسطرة يسطر بها الخطوط المستقيمة، وذلك بتلوين الخيط وشده على الحجر فيترك أثراً مستقيماً ينشئ عليه أشكالاً وخطوطاً، وهو مقياس يطابق به الأبعاد بعد عقد الخيط أو تلوينه بعلامة تحدد المقياس المطلوب، وهو شاقول لتحديد الخط القائم بعد تثقيله برأس معدني، وأخيراً فإن الخيط فرجار يستعمل لتكوين الدائرة وذلك بتثبيت طرفه بمسمار فوق مركز الدائرة ثم تحديد خيط بطول نصف القطر المطلوب وتدوير طرف الخيط بواسطة قلم أو مسمار فتتشكل الدائرة، حيث كانت هذه هي طريقة رسم الدوائر قبل ابتكار الفرجار، وبواسطة الخيط أيضاً يمكن رسم القوس والقبة ومازالت هذه الطريقة مستعمل حتى الآن. أما اليوم فقد دخلت الوسائل الحديثة كالمنقار الآلي والمنشار الكهربائي والمساطر الدقيقة في عمليات النحت والحفر.[1]

5.4. أنواع زخارف البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة:

ساهمت الزخارف بشكل واضح في إضفاء قيمة جمالية عالية على البيت التقليدي، إضافة إلى المدلول الاجتماعي والاقتصادي الذي تعكسه الزخارف عن مدى اهتمام السكان في إبراز وتجميل بيوتهم، فتواجدت في العديد من الأماكن داخل البيت ومنها عدة أشكال وأنواع ومنها:

– أولاً: زخارف حجرية سطحية في الأغلب تتواجد أعلى أعتاب الشبابيك والأبواب في واجهات الفناء الداخلي للبيت التقليدي، وأخذت العديد من التصاميم المميزة بأسلوب دقيق متوازن وغاية في الجمال، حيث تنوعت تصاميمها الزخرفية فمنها ذات وحدات هندسية ومنها تصاميم ذات وحدات نباتية ومنها تصاميم ذات وحدات هندسية ونباتية مندمجة معاً، كما يوضح شكل(19).

شكل(19): زخارف فوق أعتاب الشبابيك والأبواب في الفناء الداخلي

المصدر: الباحثة

[1] البهنسي،عفيف، "**جمالية الزخرفة العربية**"، مكتبة لبنان، بيروت،1999م.

– **ثانياً**: زخارف الميماء وهي نوع من الزخارف الحجرية المصنوعة بطريقة النقش، وتأخذ شكل حرف الميم من اللغة العربية، وغالباً توجد الميماء لتجميل عقد الإيوان داخل البيت وأحياناً توجد على عقد المداخل الخارجية للبيت، كما يوضح شكل(20).

شكل(20): نماذج زخرفة الميماء في المدخل وعلى عقد الإيوان

المصدر: الباحثة

– **ثالثاً**: زخارف المقرنصات المصنوعة بطريقة النقش وهي عبارة زخارف معمارية تشبه خلايا النحل توضع دائماً في طبقات منتظمة مرصوصة تسمى حطات وتكون هذه الطبقات مصفوفة بالتبادل بعضها فوق بعض ومنها ذو المركز الواحد أو الذو المركزين[1]، والمقرنصات تواجدت بقلة في البيوت التقليدية بغزة، فيوجد بعض المقرنصات عند أطراف عقد الإيوان، ويوجد منها مقرنصات أعلى عقود فتحات الشبابيك والأبواب في الواجهات الداخلية للبيت، كما يوضح شكل(21).

شكل(21): **نماذج المقرنصات داخل البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة**

المصدر: الباحثة

– **رابعاً**: زخارف القباب والأقبية المتقاطعة حيث تكونت تصاميم زخرفية متميزة تم نقشها على طبقة القصارة التقليدية التي تغطي سطح القباب والأقبية المتقاطعة من الداخل في فراغات البيت، وهي في الأغلب تتواجد في مراكز الأقبية

[1] شهاب، زياد، "**تاريخ العمارة، الجزء الثالث**"، العمارة في الحضارة الإسلامية،1997م.

المتقاطعة وخاصة الأقبية المروحية، وعلى مساحة السطح الداخلي للقباب النصف كروية وعلى المثلثات الكروية التي تربط القبة بالشكل الرباعي لجدران الغرف، كما يوضح شكل(22).

شكل(22): نماذج لزخارف القباب والأقبية المتقاطعة داخل البيوت التقليدية

المصدر: الباحثة

– خامساً: المداميك الملونة (الأبلق) لتزين عقود الإيوانات وعقود بعض فتحات الشبابيك والأبواب الداخلية في البيوت التقليدية، وذلك باستخدام الرخام والحجر بحيث يتم ترتيبها على شكل العقد بألوان متبادلة بمهارة ودقة عالية وهي غالباً تكون من الرخام السماقي أو الرخام الأبيض أو الحجر الجيري بتبادل الألوان، كما يوضح شكل(23).

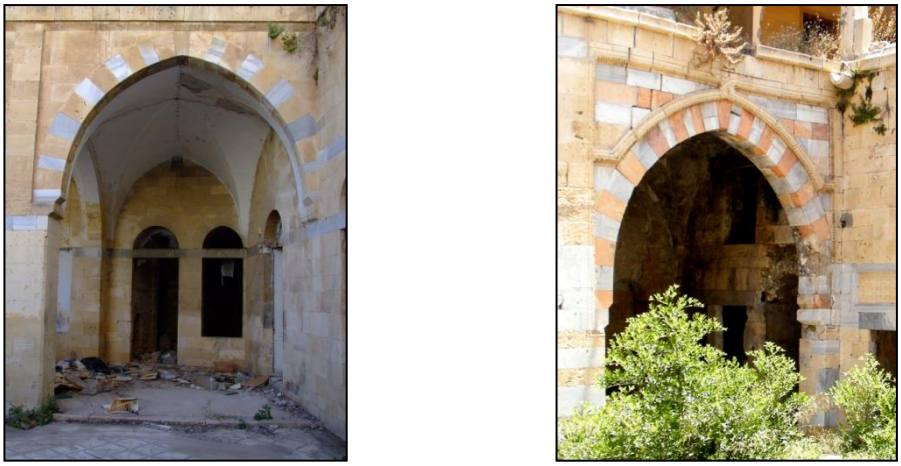

شكل(23): نماذج للمداميك الملونة داخل البيوت التقليدية

المصدر: الباحثة

وقي بعض البيوت التقليدية توجد زخارف على الوجهات الفناء الداخلي موزعة بطريقة عشوائية وهي في الأغلب زخارف تم جلبها من مباني مندثرة وإضافتها على الواجهات دون ترتيب مدروس لها على الواجهة، وإنما هي حرصاً على اقتناء الزخارف المهدمة وتقديراً لقيمتها الجمالية وحفظها من الضياع.

كذلك بدا واضحاً أن الواجهات الخارجية للبيوت التقليدية فقيرة بالزخارف مقارنة بما هو الحال في الداخل مما يدل على أن اهتمام السكان في البيئة الداخلية للبيت أكبر بكثير من الاهتمام بالخارج، كذلك يدل على عدم التباهي والتفاخر بالشكل الخارجي أمام الأخرين، ولكن في بعض البيوت التقليدية القليلة كان هناك اهتمام في زخرفة مداخلها الخارجية وتجميلها مما يدعو إلى الوقوف عندها وإظهار زخرفتها، فمثلاً استخدمت المداميك الملونة من الرخام

السماقي والأبيض والحجر الجيري في بعض عقود المدخل أو الزخارف الحجرية السطحية ذات تصاميم النباتية والهندسية بطريقة متناسقة ومتزنة ومتقنة ورائعة أو استخدام زخرفة الميماء والأعمدة الرخامية، كما يوضح شكل (24).

شكل(24): زخارف مداخل بعض البيوت التقليدية

المصدر: الباحثة

6.4. الأضرار والمخاطر التي تعاني منها الزخارف في البيوت التقليدية في البلدة القديمة بمدينة غزة:

– قلة الوعي بأهمية الزخارف كعنصر معماري جمالي وبما يحمله من قيمة تاريخية وثقافية يعتبر أهم وأكبر ضرر يؤثر على عليها وعلى بقائها وعلى إظهار قيمتها.

– استخدام مواد الدهان الملونة والطراشة والقصارة لتغطية الزخارف والتي جميعها لا تتناسب مع الحجر الطبيعي وتؤثر بشكل على ملامح الزخرفة وتصميمها وتشوه الشكل العام لها فتفقد من قيمتها الجمالية، كما يوضح شكل(25).

شكل(25): نماذج استخدام مواد تغطية للزخارف

– تشويه شكل الزخارف بواسطة بعض الإضافات كالتمديدات السلكية المستحدثة أو التمديدات الصحية أو تدخلات أخرى كالقطع الخشبية والبلاستيك والزينجو والتي يتم إضافتها إلى البيت التقليدي بطريقة غير مدروسة ولا تتناسب مع القيم الجمالية والتاريخية للبيت التقليدي، كما يوضح شكل (26).

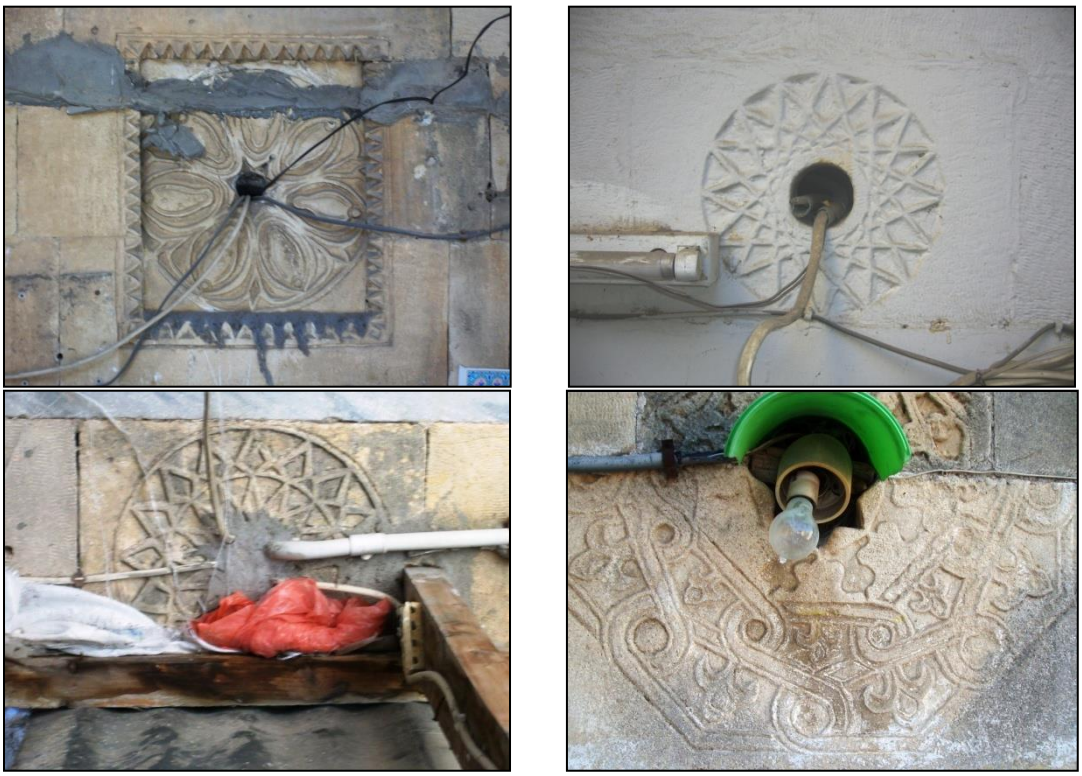

شكل(26): نماذج تشويه الزخارف باستخدام إضافات غير مناسبة

المصدر: الباحثة

– التشققات والكسور وفقدان أجزاء من القطع الزخرفية وذلك نتيجة عدم الاهتمام أو بعض السلوكيات الخطأ كعمل بعض التغييرات أو الإضافات إلى البيت التقليدي التي تتسبب بذلك وتشوه تصميم الزخرفة، كما يوضح شكل(27).

شكل(27): نماذج للتشققات والكسور التي تتعرض لها الزخارف

المصدر: الباحثة

– تآكل أجزاء من الزخرفة نتيجة عوامل التعرية والمناخ وفقدان ملاحمها وخصوصاً الزخارف المصنوعة من الحجر الرملي الذي يعتبر أضعف من أنواع الحجر الأخرى وذلك يرجع إلى قلة الاهتمام وقلة الترميم وعدم إتباع وسائل وطرق الحفاظ المناسبة، كما يوضح شكل(28).

شكل(28): نماذج توضح تآكل أجزاء من الزخارف نتيجة قلة الترميم

المصدر: الباحثة

– اندثار وفقدان العديد القطع الزخرفية ذات التصاميم المميزة والفريدة بعد هدم العديد من البيوت التقليدية وضياعها مع الردم دون الإكتراث لها، كما يوضح شكل(29).

شكل(29): نماذج توضح اندثار بعض الزخارف نتيجة الإهمال

المصدر: الباحثة

5. سبل الحفاظ على الزخارف في البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة:

انفردت الزخارف بأهمية خاصة عن العناصر المعمارية الأخرى المكونة للبيت التقليدي في البلدة القديمة بغزة، إضافة إلى الاهتمام الكبير في الماضي من قبل السكان بضرورة تواجد الزخارف في بيوتهم وإبداع تصاميم وأشكال وأنواع متنوعة ومتميزة بهدف إضفاء القيمة الجمالية للبيت، لذلك لابد من تكثيف الجهود للحفاظ على مثل هذه العناصر المتميزة وحماية ما تبقى منها من الضباع والاندثار، وأهم السبل التي يتوجب اتباعها هي:

ـ زيادة الوعي لدى المجتمع وخاصة سكان وملاك البيوت التقليدية بالقيمة التاريخية والثقافية للزخارف من خلال اللقاءات والزيارات الدورية والنشرات التوعوية والمقالات المنشورة أو من خلال وسائل الإعلام المختلفة أو من خلال

معارض مخصصة للزخارف كمعارض صور أو رسم أو نماذج تحاكي القطع الأصلية وتعرض في العديد من الأماكن مستهدفة عدة فئات من المجتمع.

_ استخدام وسائل الترميم وتقنيات التدخل المباشر لمعالجة الأضرار التي تعاني منها وتتعرض لها الزخارف للحفاظ عليها وإظهارها بشكلها الحضاري، مما يتطلب السعي والبحث للحصول على التمويل اللازم من المؤسسات المانحة المحلية والدولية لتنفيذ مثل هذه المشاريع، أو بتشجيع سكان وملاك البيوت التقليدية لتوفير تمويل ذاتي لأعمال الترميم وبإشراف جهات فنية ومختصة.

_ عقد دورات تدريبية تهدف إلى صنع نماذج مشابهة للزخارف الموجودة في البيوت التقليدية باستخدام مواد معاصرة محلية تشجع الفئات الشابة والمهتمين للتعرف على الزخارف وتحليل وحداتها الزخرفية وكيفية صنعها.

_ توثيق ما تبقى من زخارف البيوت التقليدية وجمع الصور عن زخارف مفقودة قدر الإمكان وحفظها في إصدارات متخصصة ونشرها للتوعية وللباحثين والمهتمين في هذا المجال.

_ تشجيع المصممين والمعماريين المعاصرين على استخدام الزخارف فيما يقومون به من تصميمات وبأسلوب ومواد تتناسب مع وقتنا الحالي.

6. النتائج والتوصيات:

_ تعتبر الزخارف من العناصر المعمارية المميزة داخل البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة.

_ بدا واضحة مدى أهمية الزخارف الفنية والتاريخية واهتمام السكان بتواجدها في بيوتهم على الرغم من الصعوبة الكبيرة في تصميمها وتنفيذها على أنواع الحجر المختلفة وبالطرق المتنوعة.

_ ضرورة تشجيع الدراسات التي تقدم وصفاً تحليلاً للوحدات الزخرفية الأساسية وأنواع الزخارف وطبيعة الحجر المصنوعة منها.

_ تواجه زخارف البيوت التقليدية في البلدة القديمة بغزة العديد من المشاكل والأخطار التي تهدد بقائها وتنذر بفقدان جزء كبير منها بالإضافة إلى إنها تؤثر بشكل كبير عل ملامحها وقيمتها العالية.

_ وليتم العمل على الحفاظ على مثل هذه العناصر القيمة توصي هذا الدراسة البحثية بالتالي:

_ تكثيف الجهود نحو تطبيق السبل التي تم التطرق إليها خلال الدراسة والتي تضمن الحفاظ على الزخارف لتكون شاهداً على تاريخ وحضارة البيوت التقليدية بغزة.

_ زيادة تفعيل ودعم المؤسسات العاملة في مجال الحفاظ على الموروث الثقافي في توفير تمويل لتنفيذ مشاريعها.

7. المراجع:

- كنعان، هنادي، **الحليات المعمارية في القصور العثمانية في البلدة القديمة بنابلس"دراسة تحليلية"**، جامعه النجاح الوطنية بنابلس،2010م.
- مرزوق، محمد عبد العزيز :**"الفنون العثمانية"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988 م.
- أبو صالح الألفي، **"الفن الإسلامي"**، القاهرة، دار المعارف.
- مصطفى، صالح لمعي، **"التراث المعماري في مصر"**، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى، 1984م
- أبو دبسة، فداء، **"الزخرفة الإسلامية"**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م.
- البهنسي،عفيف، **"جمالية الزخرفة العربية"**، مكتبة لبنان، بيروت،1999م.
- شهاب، زياد، **"تاريخ العمارة، الجزء الثالث"**، العمارة في الحضارة الإسلامية،1997م.
- عبد الحميد، سعد زغلول، **"العمارة والفنون في دولة الإسلام"**، منشأة المعارف بالإسكندرية،1986م.
- وثائق مركز عمارة التراث "إيوان" –كلية الهندسة – الجامعة الإسلامية بغزة.